# المنهج الكلامي من الكتاب والسنة
# «دراسة تأصيلية»

أ.م. د. معالم سالم يونس
كلية التربية للبنات
قسم القرآن الكريم والتربية الاسلامية
جامعة الموصل

## الملخص

يعدُّ علم الكلام من العلوم الإسلامية الأصيلة التي تندرج كأحد أهم فروع علم العقيدة الاسلامية، فما هو أصله وأساس انبثاق هذا العلم ؟ وكيف تناوله الرسول محمد «ﷺ» واسس له ليتبلور فيما بعد كعلم مستقل تحت هذا الاسم ؟ وما النماذج التي يستدل بها العلماء على معرفته «ﷺ»لقواعد وأسس علم الكلام ،وبرهنة أصول الدين الإسلامي بالطرق النقلية والعقلية ومحاججة الخصوم ؟ فهل فعلاً قام الرسول محمد ﷺ ببرهنة العقيدة بالنقل والعقل ؟ وهل تكلم بالأدلة التي استخدمها فيما بعد علماء الكلام ؟ هذا ما ستبينه بين جنبات بحثنا هذا.

Abstract

Theology is one of the original Islamic sciences that fall as one of the most important branches of the science of the fundamentals of the Islamic religion، so what is its origin، basis and emergence of this science and was it at the hands of the Prophet Muhammad، may God bless him and grant him peace? To crystallize later as an independent science with this name، and what are the models that the scholars deduce from، that he، may God bless him and grant him peace، knows the rules of theology، and its proof of transmission and mental evidence، and arguments with opponents. So did the Messenger Muhammad، may God’s prayers and peace be upon him، really prove the Islamic belief in transmission and reason، establishing the science of theology، and what are the evidences from which religious scholars have deduced later on this

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد على اله وصحبه الكرام اجمعين، أما بعد...

اهمية البحث فإنّ علم الكلام من العلوم الشرعية المهمة في ديننا الحنيف وذلك لما له من أهمية في إثبات وبرهنة والدفاع عن العقيدة الاسلامية، وموضوع بحثنا هو تأصيل هذا العلم أكان له اصل في الكتاب والسنة ام أنّه علم دخيل على المسلمين انسل الى علومهم من ثقافات واديان الدول التي جاورتهم والتي امتد اليها الاسلام هاديا الى الله تعالى، ومصادرنا فيه فقد لجأنا الى كتاب الله تعالى والصحيحين والتفاسير وكتب العقيدة بالأخص كتاب استحسان الخوض في علم الكلام للإمام ابي الحسن الاشعري[1] وغيرها من الكتب للتدليل على ذلك، واشكالية البحث تكمن في تساؤل يتساءله الناس هل كان علم الكلام مستخدما في اثبات العقيدة الإسلامية في الصدر الاول لرسالة الاسلام ؟ والجواب بعد التحري والبحث انه فعلا كان متواجدا ولم يخفى عنه «ﷺ» بل ان قواعد العلم متواجدة في استدلالات الكتاب والسنة كما سنبين.

ولقد كانت منهجنا في البحث اولاً استخراج مواضع الاستشهاد من الكتاب والسنة مقتفين اثر الامام ابي الحسن الاشعري رحمه الله واعادتها الى القواعد المنطقية المستعملة في علم الكلام .وثانيا التركيز على آيات الذكر الحكيم وبعض نصوص السنة المطهرة واظهار البراهين العقلية منها، ثالثاً ولقد بينا ان اول من ابرز هذا الجانب الامام ابي الحسن الاشعري في كتابة «رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام»، و بعض الكتب العقدية الاخرى له، رابعاً وقد عمدنا في كل ذلك لتأصيل هذا العلم الجليل من الكتاب والسنة كمصدر اصيل فجاء الاثنان بما برهن واثبت ان علم الكلام علم اسلامي عظيم واصيل ومستشهدين بالأمثلة العلمية كنماذج مختارة لتأصيل العلم .

وقسمنا البحث على مبحثين: المبحث الاول تعاريف ومفاهيم العنوان وتأصيل الرسول «ﷺ» لعلم الكلام، وتكون من عدة مطالب هي: المطلب الأول: تعريف ألفاظ العنوان لغةً واصطلاحاً، والمطلب الثاني اسماء وموضوع علم الكلام واسباب تسميته واهدافه،و المبحث الثاني: موقف الرسول محمد «ﷺ»من علم الكلام والتأصيل له، المطلب الاول موقف الرسول «ﷺ»من علم الكلام؟ المطلب الثاني: التأسيس والتأصيل النبوي لعلم الكلام ونماذج من ذلك التأصيل، وأخيرا وليس آخراً فإنما قمنا به من

(١) هو «علي بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم ابن اسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن موسى الاشعري، وكنيته أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة ابن صاحب رسول الله «ﷺ»أبى موسى عبد الله بن قيس وقد لقب بناصر الدين ومسقط رأسه البصرة ولد بها سنة ٢٦٠هـ» ،طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢،لسنة ١٤١٣هجرية،٣/ ٣٤٧

جهد انما هو جهد بشري يعتريه النقص والزلل وعذرنا اننا اردنا خدمة والتأصيل لعلم الكلام وبذلنا الجهد لذلك وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

المبحث الأول: تعاريف العنوان وأهمية وفائدة علم الكلام وأسباب تسميته

المطلب الأول: تعريف ألفاظ العنوان لغةً واصطلاحاً

تعريف المنهج الكلامي من الكتاب والسنة «دراسة تأصيلية»

المنهج لغة:

مناهج جمع منهج ولها ثلاثة معانٍ هي أنّ «النَهْجُ والمَنْهَجُ والمِنْهاجُ هي ألفاظ متقاربة المعاني تطلق على الطريق حسيا كان ام معنويا[١]، «والطريق المتصف بالبيان والوضوح في دلالتها على المقصود منها»[٢].

فالمنهاج هو «الطريق الواضح»»[٣]»، و «الجمع منها مناهج»»[٤]»، «ونهج الطريق استبان وظهرت ملامحه»[٥]، «والطريق الناهجة الواضحة البينة»[٦]. إذاً الطريق الواضح المستقيم الذي يوصل إلى الغاية والهدف هو المنهاج.

المنهج اصطلاحًاً:

هو «فنُّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، أمَّا من أجل الكشف عن الحقيقة، إذ نكون بها جاهلين؛ أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين»[٧]، ويعرف بأنّه «طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية»[٨]، ومن الاشتقاق اللغوي لمعنى المنهج يعرّف أيضا بأنّه «الطريقة التي يحاول بها صاحب الفكر أثبات فكره أو مذهبه واقناع الغير بما يؤمن به، ويعرف أيضا بأنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة»[٩]، ويمثل المنهج أحد

(١) ينظر: العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، نشر مكتبة الهلال، ٢/ ٣٩٢

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ١٩٧٩، ٥/ ٣٦١ وينظر: المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده المرسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٤/ ١٧١

(٣) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيدة القاسم بن سلام البغدادي، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، ط١ سنة ١٢٨٤هـ-١٩٦٤م، جـ٣، ٢٧٨.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، لسنة ١٩٨٧، جـ١، ص٤٩٨.

(٥) ينظر: اساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) تحق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ٢/ ٣٠٦

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل الفارابي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، لسنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، جـ١، ص٣٤٦

(٧) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧، ط٣، ص٤.

(٨) ينظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، دار المعارف القاهرة ط٩، ١/ ٣٦.

(٩) ينظر: رسالة دكتوراه بعنوان مناهج الاستدلال في

الأركان الرئيسة لقيام أي علم من العلوم، بل هو أهم هذه الأركان فالعلم منهج أكثر منه موضوعا.

الكلام لغةً

« الكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير. والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنه جمع كلمة»[1]و مأخوذة أيضا من «كلم سمعته يتكلّم بكذا، وكلّمته وكالمته، وكانا متصارمين فصارا يتكالمان. وموسى كليم الله. ونطق بكلمة فصيحة، وبكلمات فصاح وبكلمٍ، وجاء بمراهم الكلام، من أطايب الكلام. ورجل كليم: منطيق»[2] اذاّ الكلام لفظ دال على معنى ويتألف من أصوات منطوقة على هيئة حروف.

علم الكلام اصطلاحا

«علم الكلام ويسمّى بالفقه الأكبر: وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشُبه»[3] إذاً هو مشتق من علم الكلام هو علمُ إثبات أو إقامة الأدلّة على صدق وصحة العقائد الإيمانيّة، ويختصر هذا العلم بعلم الكلام. فان من يعمل به يصبح مكتسباً مقدرته تلك من أدلّتها اليقينيّة القرآن والسنة وادلة العقول لدرء الشبهات وإقامة الحجج على المخالفين في العقيدة.

الكتاب لغةً

من «كتب: الكِتابُ: مَعْرُوفٌ، وَالجَمْعُ كُتُبٌ وكُتْبٌ. كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً، وكَتَّبه: خَطَّه»[4]،»الكِتابُ اسْمٌ لِمَا كُتب مَجْمُوعاً»[5]

الكتاب اصطلاحا

هو القران الكريم «القُرآن: التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ» الكلام المعجز المنزل على النبي «ﷺ» المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته»[6].

السنة لغةً

«السنة: لغةً: العادة» «والسُّنّة الطريقةُ المستقيمة المحمودة، وَلذَلِك قيل: فلانٌ من أهل السنّة، وسَننتُ لكمْ سُنّة فاتبعوها، السُنّة فِي الأَصْل: سُنّةُ الطَّرِيق. وَهُوَ طريقٌ سنه أَوَائِل النَّاس فَصَارَ مَسلَكاً لمَن بعدَهم. وسَنَّ فلانٌ طَرِيقا من الْخَيْر يَسُنّه: إِذا ابْتَدَأَ أمرا من البِرّ لم يَعرِفه قَومُه، فاستَنُّوا بِهِ وسلَكُوه وَهُوَ يَسْتنُّ الطَّرِيقَ سَنّاً وسنَناً؛ فالسَّنُّ المصدَر، والسَنَنُ: الِاسْم بِمَعْنى

---

مسائل العقيدة الإسلامية في مصر في العصر الحديث، د. محمد احمد قوشقي عبد الرحيم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص٢٣.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م،٥/ ٢٠٢٣

(٢) اساس البلاغة، للزمخشري ٢/ ١٤٥

(٣) التعريفات الفقهية،محمد عميم الإحسان المجددي البركتي،دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م،١/ ٣٠

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت،ط٣، ١٤١٤ هجرية،١/ ٦٩٨

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط١،٣/ ١٩

المسنُون»[١].

السنة اصطلاحاً

«هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب، فالسُّنة: ما واظب النبي «ﷺ» عليها، مع الترك أحيانًا، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة؛ فسنن الهدى، وإن كانت على سبيل العادة؛ فسنن الزوائد؛ فسنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلًا للدين، وهي التي تتعلق بتركها كراهةً أو إساءة، وسنة الزوائد هي التي أخذها هدى، أي: إقامتها حسنة ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة كسير النبي «ﷺ» في قيامه وقعوده ولباسه وأكله»[٢].

دراسة لغة

من «دَرَسْتُ الكتابَ أدرُسه دَرْساً، أَي: ذَلَّلتُه بِكَثْرَة الْقِرَاءَة حَتَّى خَفّ حِفْظُه عليّ من ذَلِك»[٣]» ودَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُهُ درْساً ودِراسَةً ودَارَسَه من ذلك كأنه عانَدَهُ حتى انْقادَ لِحِفْظِهِ»[٤]

دراسة اصطلاحا

لفظ (دراسة) من ألفاظ القرآن الكريم في بضع آيات كما في قوله تعالى :»وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» والدراسة هنا تعني القراءة ومعاهدة المقروء والتفهم»[٥].

التأصيلية لغة

من الأصل وهو «أصل الشيء أسفله وأساس الحائط أصله واستأصل الشيء ثبت أصله وقوي ثمَّ كثر حتى قيل أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول والجمع: أصول، وأصل النسب بالضم: أصالة شرف فهو أصيل مثل: كريم وأصلته تأصيلا جعلت له أصلا ثابتا يبنى عليه، وقولهم: لا أصل له ولا فصل، الأصل الحسب والفصل النسب ،والأصل العقل، والأصيل العشي وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب، والجمع أُصل بضمتين»[٦]

الأصل اصطلاحا

هي ما يبتنى عليه غيره من الأشياء «أصولا يبتنى عليها الشيء: أصولا»[٧] فهو أصل العلوم الشرعية وأساسها ومرتكزها .

معنى العنوان إجمالاً

اذاً فمعنى العنوان بعد معرفة معاني ألفاظه، هي

(١) تهذيب اللغة،أحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١،٢٠٠١م،١٢/ ٢١٠

(٢) كتاب التعريفات، للجرجاني ،ص١٢٢

(٣) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)،١٢/ ٢٥١

(٤) المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده المرسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،٨/ ٤٥٠

(٥) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ،بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع ط٢ ١٤١٥ هـ،ص١٠

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)،: المكتبة العلمية – بيروت،١/ ١٦

(٧) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـتحف: عدنان درويش – محمد المصري،: مؤسسة الرسالة – بيروت،ص٦٩

الطريقة التي دافع وأثبت بها «ﷺ»عن أركان الإيمان وأُصول المسائل العقدية بالطرق النقلية والعقلية، وهو ما أُطلق عليه فيما بعد باسم علم الكلام المدافع عن اصول الدين والمثبت لها.

المطلب الثاني: أسماء وموضوع علم الكلام، واسباب تسميته واهدافه:

اولا: أسماء وموضوع علم الكلام :

شرف هذا العلم على غيره من العلوم؛ لكونه متعلقاً بأشرف المعلومات التي هي أصول الدين أي: معرفة الله ورسوله«ﷺ». والعلم بالله تعالى وصفاته أجل العلوم وأعلاها، ويسمى علم الأصول «اصول الدين الاسلامي»، وعلم الكلام، وعلم التوحيد، والفقه الأكبر، وعلم العقيدة، وعلم النظر والاستدلال وغيرها من اسمائه المعروفة.

«إنّ علم الكلام والأصول هو معرفة الباري تعالى بوحدانيتة وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبالجملة: كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول. ومن المعلوم أنّ الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه»[1]،»إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أَنَّهُ الْوَاحِد الَّذِي «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ»[2]، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل «[3] ،»لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[4].

وقال ابن خلدون: «وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية، بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أنْ يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشك والشبه عن تلك العقائد»[5] إذاً فإن علم الكلام هو علم إثبات العقيدة الاسلامية والدفاع عنها بالنقل والعقل.

أسباب تسميته

سمي علم الكلام بهذا الاسم لأسباب عديدة وكونه يمنح القدرة على الكلام في الشرعيات كالمنطق في الفلسفيات و لكثر الكلام فيه مع المخالفين» فغلب عليه تسمية للشيء باسم أشهر أجزائه أو لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات مع الخصم على قياس ما قيل في المنطق من أنه يفيد قوة على النطق في العقليات والمخاصمات « »[6]، ولأنه احتوى على

(١) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) ، مؤسسة الحلبي، ١/ ٤١

(٢) سورة الاخلاص الآية ٣

(٣) الرسالة القشيرية ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)،تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة،١/ ٢١

(٤) سورة الشورى الآية ١١

(٥) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١٤٠٨٢ هـ - ١٩٨٨ م،١/ ٥٩٠

(٦) كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد

الادلة القوية التي صار هو الكلام المعتبر دون ما عداه، ولإنّ الكلام أشهر أجزاء هذا العلم، أو أن صفة الكلام قد أثير حولها كثير من النقاش والجدال ولأن مبناه كلام صرف في المناظرات على العقائد.

وسمي بهذا الاسم أيضاً ؛لأنّ الكلام ضد السكوت، وأنّ المتكلمين تكلموا في المسائل العقدية اذ حيث كان ينبغي الصمت وعدم الخوض فيها اضطراراً ؛ لضرورة بيان الحق والدفاع عن العقيدة الاسلامية ضد خصومها، وكذلك أنه أشهر المباحث الكلامية وأكثرها نزاعا بين الباحثين في المسائل العقدية هي مسألة «كلام الله»، كذلك يستحصل غالبا، إلّا بالكلام بين طرفين، فلا يتم تحقيقه في النفس غالبا إلّا بالكلام ،ولأنه كذلك يورث قدرة على الكلام في برهنة الشرعيات وإلزام الخصوم.

فائدة علم الكلام :

ذكر الإيجي جملة من الفوائد التي ينالها المتمكن من هذا العلم فجعلها في خمس فوائد وأهداف:

*الأول: «الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، بسبب التمكن من الاستدلال»[1]، إذ قوله عز وجل: «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»[2]

* الثاني: «إرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة

* الثالث: حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين

* الرابع: أن ينبني عليه العلوم الشرعية، فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها

* الخامس: صحة النية والاعتقاد، إذ بها يرجى قبول العمل، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين»[3].

الأهداف من دراسة علم الكلام

١. تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم بوحدتهم من العزة و الكرامة و المنعة .

٢. دعوتهم للتفكر في الواقع الذي يعيشونه و ما لحقهم من خسائر بسبب تشرذمهم وجهلهم.

٣. تنبيه الأمة الإسلامية إلى الغاية ألاساسية من وجودها في إقامة الشرع الحنيف ونبذ الخلافات والتوحد فيما بينهم و بيان مساوئ التفرق، و محاسن اتحاد المسلمين في الارض قاطبة.

٤. تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم، ليجتنبوها ويتدارسونها، ليصلوا الى اصول متفق عليها تجمعهم، وأنّ اختلاف الفروع لا يستحق التفرق والتخطئة والعداوة؛ بل تقبل الأفكار واحترامها

---

الإيجي، دار الجيل – بيروت،ط١، ١٩٩٧،١/ ٤٦

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م،١/ ٧٠

(٢) سورة المجادلة: الآية ١١

(٣) كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ،١/ ٤١

مادامت ليست في أصول الأصول الثابتة من توحيد ونبوة «ﷺ»ومعاد.

٥. رصد ومقاومة الاختراقات والحركات والأفكار الهدامة التي يقوم بإطلاقها وتبنيها واستغلالها أعداء الإسلام، وبيان دورهم الخطر في تفريق وشرذمة وحدة الأمة الإسلامية .

٦. «روى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»[١]»[٢] فتبقى الأمة علماً يهتدى به الناس بعيدة عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة المفرقة للأمة.

٧. تذكير الأمة بماضيها وربطه بحاضرها و بيان منشأ جذور الخلافات بين المسلمين

و التي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها.

٨. «بيان والتأكيد على سبر غوار العلوم وتقدم الأمة والتركيز على علمائها الربانيين الذين يقودونها نحو التوحد، ويجمعون بين العلوم الدينية والتطبيقية الحديثة لبرهنة معتقداتها الحقة ،من أجل نهضة الأمة، ونبذ التفرقة، والضياع، والتشرذم، والجهل الذي تعاني منه»[٣].

المبحث الثاني: موقف الرسول محمد«ﷺ» من علم الكلام والتأسيس له:

المطلب الأول :موقفه«ﷺ» من علم الكلام

إنّ الأصل في علوم الدين جميعها هو الاتباع ؛ لذلك سنؤصل لعلم الكلام من الهدي النبوي على اعتبار أنّ بيان اصول الدين وفهمها وافهامها للمؤمنين، والدفاع عنها ضد المخالفين والمشككين هو دور علم الكلام الرئيسي، وهو ما قام به على أكمل وجه رسولنا الكريم ﷺ، فمن ذلك أنّه بين النبي «ﷺ»دوره في هذا العلم فقال: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له» «[٤]، فكان هذا العلم أهم العلوم تحصيلاً وأحقها تبجيلاً وتعظيماً، قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»[٥]. قدّم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالإستغفار؛ لتعلّق التوحيد بعلم الأصول، وتعلق الاستغفار لعلم الفروع. وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن الرسول «سُئل: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله»[٦]. وصح

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله «ﷺ»وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط١، ١٤٢٢هـ،٦/ ١٩٨رقم الحديث ٥٠٦١

(٢) لأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ،١/ ٥٦

(٣) كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ١/ ٣٠-٤٧

(٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت،٢/ ٧٧٩رقم الحديث١١٠٨

(٥) سورة محمد الآية ١٩

(٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل ١/ ١٤رقم الحديث ٢٦

عن «جندب بن عبد الله[١] أنه قال: «كنا مع النبي»ﷺ» ونحن فتيان حَزاوِرَة (جمع حَزَوّر وهو الغلام إذا اشتد وقوي)، فتعلمنا الإيمان قبل أنْ نتعلم القرآن، ثمّ تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»[٢].

إن الإسلام في حياة الرسول «ﷺ»اكتمل في عقائده وأحكامه التعبدية والعملية والسلوكية الروحية، وذلك من تكامل نصوصه وقواعده التي جاء بها الاسلام قال تعالى «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»[٣] وإنّ الرسول صلوات الله عليه انتقل إلى الرفيق الأعلى وترك الإسلام على أكمل وجه، وأن المسلمين من القرن الأول إلى يومنا هذا، يعدّون أي زيادة على عقائد وأحكام هذا الدين بدعة تحارب، ويرفضونها ويعدّون أنّ الدين واحد منذ بدء الخليقة حتى نهاية العالم وهو الاسلام قال تعالى «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَام»[٤]، اي: «أنّ الذي أمر به وفيه التوحيد هو دين الإسلام، لاغيره»[٥]، وقال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ «[٦]، «فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم، والمراد بهداهم: طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع، فإنها مختلفة وهي هدى، ما لم تنسخ. فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا»[٧]، فالأصول العقدية عند كل الانبياء والمرسلين واحدة، اذاً فالإضافات في اساسيات الدين لا تجوز بتاتاً، ولكن الاجتهاد في فهم نصوص الدين وتفسيرها والدفاع عن ثوابته واحكامه كانا طريق علماء السلف في الدفاع عن الاسلام واحكامه، فبالرغم من أنّ عقيدته ثابتة وقواعد احكامه بينة في القران والسنة إلا أنّه احتاج لمن يدفع عنه الهجمات الفكرية التي قام بها مناهضوه من الديانات الاخرى بحجة العلم والمنطق، وكان الحل الأمثل في فهم وهضم تلك القواعد وعدم الخروج عنها ومن ثم برهنتها بنفس وسائل الخصم من مناقشات فكرية هادفة ومتوازن وعلمية وموضوعية. وكان الاقناع العقلي وسيلة من

(١) هو جندب بن عبد الله العلقي؟ قال: نعم حي من بجيلة، حدثنا عباس بن محمد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: جندب البجلي وجندب بن عبد الله وجندب بن سفيان واحد ينظر: معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت: ٣١٧هـ)، مكتبة دار البيان – الكويت ،ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م،١/ ٥٦٤

(٢) سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي،١/ ٢٣

(٣) سورة المائدة الآية ٣

(٤) سورة ال عمران الآية ١٩

(٥) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)،محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ٢/ ٣٣١

(٦) سورة الانعام الآية ٩٠

(٧) «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣، ١٤٠٧ هـ،٢/ ٤٣

وسائل نشر الدعوة الاسلامية بين صفوف المتعلمين والعلماء من تلك الحضارات القديمة التي أصبحت جارة جغرافية وتاريخية لحضارة وثقافة الإِسلام في تلك الحقبة التاريخية.

أولاً: مواقف الرسول «ﷺ»المبرهنة للمنهج الكلامي في العقيدة تقريراً واثباتاً ودفاعاً:

اعتمد الرسول «ﷺ» في اثبات العقيدة الإسلامية للمؤمنين وغيرهم ممن كانت لهم تساؤلات عقدية على آيات التنزيل الحكيم، فجاءت أحاديثه الشريفة مفسرة ومبينة لهذه الآيات الكريمات والثوابت العقدية الواردة فيها، فكان منهجه وهديه الكريم«ﷺ»تأصيل لعلم الكلام باستشهاده واستدلالاته الرائعة ،والموافقة لقواعد المنطق والفكر السليم الحريص على ايصال المتسائلين الى الحقيقة البحتة، اذاً كان معتمدا اعتمادا كليا على القران الكريم والسنة وأدلة العقل السوي، وكما سنرى في الأسطر القليلة القادمة .

١. تقرير العقيدة

وهو ما أكد عليه الرسول «ﷺ»من أول يوم في بعثته المباركة حتى نهاية حياته فجزاه الله تعالى عن الأمة الإِسلامية خير الجزاء، فهو «ﷺ»أكد وبين كل أركان الإيمان وركزها في قلوب وعقول أصحابه؛ لتكون الأصل الثابت الذي ينبني عليه الإسلام في نفوسهم وعقولهم؛ لينبثق عنه الفعل الموافق للشرع المبرهن للإيمان، قال عليه الصلاة والسلام :»عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله «ﷺ» ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ»، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله «ﷺ»: «الإسلام أنْ تشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله «ﷺ»، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»»[1] ففي حديث سؤال جبريل للرسول «ﷺ»عن الإيمان والإسلام وجوابه، قال: جعل النبي «ﷺ»الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال، أي: جعله اسما لمسمى الأعمال الظاهرة؛ لأنه لما قال له: (ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)، وهذا أمر ظاهر نسمعه نحن

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله «ﷺ»، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت :٢٦١هـ)،١/ ٣٦رقم الحديث ٨

إذا نطق بلسانه، إلا أن يمنعه خرس أو غيره، فقال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، وهذا من عمل اللسان الظاهر، قال: (وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، وكلُّ هذه أعمال ظاهرة، فنسب الإسلام إلى أعمال ظاهرة أي: يأتيها المرء بجوارحه، فانه جعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد؛ لأنه قال(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)، وكل هذا إنما هو من أعمال القلب لا من أعمال الجوارح، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال «ﷺ»: (ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)، فسمى هنا الدين بالأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، فالدين هو اسم يشتمل على الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، وليس معنى ذلك أنّ ما يطلق عليه الإسلام لا يطلق عليه الإيمان، أو أنّ ما يطلق عليه الإيمان لا يطلق عليه الإسلام، بل كلاهما عند الافتراق يطلق على مسمى ومدلول الاسم الآخر، فإن فرائض الإسلام وأركانه يطلق عليها الإيمان، وكذلك الإيمان يطلق على مسمى الإسلام، والكل يسمى دينا»[١].فإنّ الإيمان بالأركان الاصولية العقدية التي هي اعمال القلب اساس ومرتكز لإعمال الجوارح، وما حديث الرسول«ﷺ» وحواره مع جبريل إلا بيان لما جاء في القران الكريم من امور الدين ومعاني الايمان والاسلام والاحسان، والآيات كثيرة جداً التي تبين اركان الايمان منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»[٢]، وقال تعالى «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ»[٣]، والايمان بالقدر وارد ايضا في قوله تعالى: «وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهَّ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهَّ»[٤]،فكل تلك الآيات اذاً مقررة للعقيدة الاسلامية على طول آيات القران الكريم، مؤكدة لأصوله العقدية، وجاءت الاحاديث لشريفة مبينة وموضحة ومؤكدة لهذه الاركان.

٢. إثبات العقيدة

الدور الثاني الذي قام به«ﷺ» اثبات العقيدة الاسلامية وأهم وسائله المعجزة الخالدة القران الكريم، وهذا الجزء مرتبط بما قبله من تقرير العقيدة فبعد بيانها وشرح أركانها أخذ يثبتها للناس من المؤمنين وغيرهم ،عن طريق الأدلة النقلية متمثلة في القران الكريم والادلة العقلية والتي هي أيضا تستند في أساسها الى أمر الهي يحث على التفكر والتدبر في

(١) شرح صحيح مسلم، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ٢٨٥

(٣) سورة البقرة جزء من الآية ١٧٧

(٤) سورة النساء جزء من الآية ٧٨

الكون والآيات المنظورة فيه مع الآيات المقروءة بين سطور كتابه العظيم، وصل عدد تلك الآيات الى أكثر من ثمانين اية ،من ذلك قوله تعالى: «إِنَّ اللهَّ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُّ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[1] فدلت الآيات الكريمات على ضرورة التفكر في كل مظاهر الحياة من حول الانسان، بل إنّ الآيات الكريمات تبين خطأ المعتقدات السابقة التي حرفت بيد السابقين من الامم الغابرة، ومن ذلك قوله تعالى: في الوهية المسيح وبنوته لله تعالى وخطأ هذا المعتقد الخطير الذي أخرج أمة عيسى عليه السلام من ديانة التوحيد الى عقيدة الشرك والتثليث» وَإِذْ قَالَ اللهُّ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِّ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَّ رَبِّي وَرَبَّكُمْ»[2]، وهنا اثبات خطا الشرك وعدوان القول بألوهية عيسى عليه السلام هي في الحقيقة اثبات للتوحيد ودرء اي فكرة تنقض التوحيد الذي جاءت به الانبياء والرسل الكرام عليه الصلاة والسلام، ومن الادلة النقلية القرآنية التي تحوي بين جنباتها دلالة عقلية اضافة الى دلالتها النقلية كقوله تعالى «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُّ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهَّ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ»[3] وقد استنتج منها العلماء «لو كان فيهما، يعني في السماء والأرض، آلهة إلا الله، يعني غير الله، لفسدتا، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام»[4] فما عرف اذاً بدليل التمانع وهو دليلُ عقلي اصله من هذه الآية الكريمة، فجمع بين كونه دليل نقلياً عقلياً.

٣. الدفاع عن العقيدة

وهو الدور الثالث الدفاع عن العقيدة والذي ايضا قام به «ﷺ»وبذر اول بذوره بعد تقريره العقيدة واثباتها، كان الدفاع عنها ضد المعاندين والمشككين والمخالفين بجميع أصنافهم، وهذا الدور العظيم هو الذي تطور فيما بعد ليؤسس لعلم متكامل هو علم

(١) سورة الانعام الآيات ٩٥-٩٩

(٢) سورة المائدة الآية ١١٦ وجزء من الآية ١١٧

(٣) سورة الانبياء الآية ٢٢

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ،٣/ ٢٨٥

الكلام، فالدفاع عن الاسلام لم يكن فقط بالسيف، بل كان بالعلم والمعرفة الفطرية والمكتسبة من القران الكريم ومن العلوم التطبيقية والانسانية بكل انواعها، والتي اشار اليها او الى جزء منها من دعوته الى التفكر في الآيات الكونية، من ذلك أنه أتى رهط من يهود إلى رسول الله «ﷺ» فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ قال: فغضب رسول الله «ﷺ»حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه. قال: فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، فقال: خفض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»[١]، ومثال آخر على دفاعه «ﷺ»عن عقيدة الاسلام لما نزل قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ»[٢]، «فعندما تلاها رسول الله «ﷺ» ساله الكفار من قريش اهو حكم لنا ام لجميع الناس فقال: بل لجميع الناس فقالوا: الست تقول ان عزير والملائكة وعيسى عليه السلام من الصالحين فهم في النار مع من عبدهم »[٣]، فنزل قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ»[٤] وعقب عليه الصلاة والسلام بالقول الفصل في ذلك فقال: «كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته»[٥]وهو مختصر رائع وبليغ منه «ﷺ»لوضع كل المعبودات التي اتخذها اهل النحل الباطلة في عبادة غير الله تعالى وقال تعالى: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ»[٦]، «وبراءة لمن عبد من غير الله وهو ليس راغبا بأنْ يعبد، بل ومتبرء من كل من عبده، فهو معترف بالبشرية والضعف والعبودية لله، وهؤلاء الضالين المضلين ممن عبدوه إنّما اطاعوا الشيطان الذي امرهم بذلك»[٧].

وعلى مدار الرسالة الاسلامية الخالدة كان «ﷺ» منافحا عن العقيدة الاسلامية بالقران الكريم وبالعقل واستدلالاته مادام العقل هنا مسخر لخدمة النص ومستسلما لقدسيته وكماله، وهذا ما تطور في مستقبل الايام؛ ليكون علم الكلام الجندي المدافع عن العقيدة الاسلامية ضد خصومها ومعارضيها والمشككين بها، مثبتا كل ثوابتها النصية الكريمة، عدا بعض الاتجاهات التي حادت عن ذلك والتي لم يكتب لها

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) شركة الطباعة الفنية المتحدة،٢/ ١٥٧

(٢) سورة الانبياء الآية ٩٨

(٣) ينظر: المسند من أسباب النزول، مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (ت: ١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط٤ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م،ص١٣٥

(٤) سورة الانبياء الآية ١٠١

(٥) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، – بيروت، ط١، – ١٤١٩ هـ،٥/ ٣٣٣

(٦) سورة الانبياء الآية ٢٩

(٧) ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ الوادعِيُّ ،ص١٣٥

البقاء واندثرت بسبب تقديسها للعقل واستدلالاته على حساب النص ونقصد بهم المعتزلة "[1]، فبالرغم من أنّ دوافعهم الاولى كانت اثبات العقيدة الاسلامية والدفاع عنها الا انهم انحرفوا باتجاه تقديس العقول وتأويل النصوص الصريحة الواضحة في بعض مسائل الاعتقاد من ذلك نفي الصفات الالهية ونفي رؤية المومنيين لله تعالى يوم القيامة في الجنة ،يقول الشيخ محمد ابو زهرة: «دخل الى الاسلام طوائف من المجوس واليهود والنصارى وغير هؤلاء وأولئك، ورؤوسهم ممتلئة بكل ما في هذه الاديان من تعاليم جرت في نفوسهم مجرى الدم، ومنهم من كان يظهر الاسلام ويبطن غيره، إما خوفا ورهبة او رجاء نفع دنيوي، واما بقصد الفساد والإفساد، وتضليل المسلمين، وقد اخذ ذلك الفريق ينشر بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم، وظهر غرسهم في فرق هادمة للإسلام تحمل اسمه ظاهراً وهي معاول هدمه في الحقيقة، فظهرت المجسمة والرافضة التي تقول بحلول الاله في جسم بعض الائمة وظهرت الزندقة، وقد تصدى للدفاع عن الاسلام أمام هؤلاء فرقة درست المعقول وفهمت المنقول فكانت المعتزلة، تجردوا للدفاع عن الدين»[2]،ويقول في موضع آخر: «شغل المعتزلة بمجادلة الزنادقة والروافض والثنوية[3]، وغيرهم ولكل مجادل نوع من النزال، والمحارب مأخوذ بطريقة محاربه في القتال مقيد بأسلحته متعرف لخططه دارس لمراميه، وكل ذلك يجعل الخصم متأثرا بخصمه آخذا عنه بعض مناهجه، فالمعتزلة سرى اليهم بعض من تفكير مخالفيهم، وإنْ لم يكن جوهريا، وليس من شأنه أنْ يغير عقيدتهم أو يخرجهم من الاسلام أو ينقص من جهادهم في مناقشة المهاجمين»[4]. من كل ذلك نعرف ان بدايات علم الكلام هي تبلور وتراكم لخبرات المدافعين عن الاسلام بالأدلة النقلية والعقلية من لدن الرسول ﷺ» الى يومنا هذا .

المطلب الثاني: التأسيس والتأصيل الشرعي لعلم الكلام

وهنا سنبين المبادئ الاساسية لعلم الكلام المستنبطة من طريقته «ﷺ»القرآنية العلمية العقلية في الدفاع عن العقيدة الاسلامية، فهو «ﷺ»لم يمت الا وقد بين ما يحتاج اليه الناس من امور الدين قال تعالى

(١) المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية. القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته. ونفوا الصفات القديمة، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم وقدرة وحياة. هي صفات قديمة، ومعان قائمة به، الملل والنحل ،أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي،١/ ٤٤

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية في السياس مؤسسة الحلبية والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد ابو زهرة ،دار الفكر، العربي ،القاهرة ،د.ت. ،د.ط.، ص١٢٤-١٢٥

(٣) »هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه. وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والحيز، والمكان والأجناس، والأبدان والأرواح «الملل والنحل، للشهرستاني،٢/ ٤٩

(٤) المصدر نفسه ص١٢٧

:» وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»»[١]» وقال عز من قائل: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»»[٢]»، وسنبحث في الامثلة الدالة على ما ورد في القران والسنة من ما اصل لعلم الكلام فيما بعد مما دل على أنّ الرسول ﷺ» اجملها ولم يفصلها، مراعات لفهم الجيل الذي كان سليم الفطرة لم يحتج ادلة اكبر من شهوده الفعلي لنزول الوحي الالهي على الرسول الامين ﷺ»والأحكام التي جاء بها واسس عليها النظامين الديني والدنيوي المتكامل، وهو بذات الوقت ﷺ» بين ما ستحتاجه الاجيال القادمة من مفردات ومعاني كلامية ستكون كأدوات واسلحة متطورة بيد من سيتصدى للدفاع عن العقيدة الاسلامية، فرسولنا الكريم عالم فذ متمكن بهذا العلم ممارس له كما سيتبين لنا مما اورده الإمام الأشعري وغيره من العلماء من ذلك مثلاً:

أ. الحركة والسكون والكلام فيهما فأصلُهما موجودٌ في القرآن، وهما يدلان على التوحيد، وكذلك الاجتماعُ والافتراق، قال الله تعالى مخبِرًا عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه في قصة أفول الكوكب والشمس والقمر وتحريكِها من مكانٍ إلى مكانٍ ما دلّ على أنّ ربّه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ»[٣]، وأن من جاز عليه الأفولُ والانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ فليس بإله «[٤] قال الزمخشري» فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأنْ يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدّ إلى أن شيئاً منها لا يصح أنّ يكون إلها؛ لقيام دليل الحدوث فيها، وأنّ وراءها محدثا أحدثها، وصانعا صنعها، ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها هذا رَبِّي قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه؛ لأنّ ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى مكان، المحتجبين بستر، فإنّ ذلك من صفات الأجرام بازِغاً مبتدئا في الطلوع»[٥]

ب. ويبرهن الامام الاشعري على الوحدانية ونفي الشرك فان اصل التوحيد مصدره القران العظيم فيقول: «وأما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذٌ أيضًا من الكتاب، قال الله تعالى «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ

(١) سورة النحل الآية٤٤

(٢) سورة النحل الآية٨٩

(٣) سورة الانعام الآيات ٧٦و٧٧و٧٨

(٤) استحسان الخوض في علم الكلام، لشيخ السنة واهلها ناصر الدين الشيخ ابي الحسن الاشعري الشافعي (ت:٣٣٠هجرية) مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر اباد ،ط٣،ص٣

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري،٢/ ٤٠

لَفَسَدَتَا»»[1]»، وهذا الكلام موجَزٌ منبِّهٌ على الحجة بأنه واحدٌ لا شريك له، وكلام المتكلمين في الحِجاج في التوحيد بالتمانع والتغالب فإنما مرجعه إلى هذه الآية»[2]» ،وقولِه عز وجل «مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»»[3]»، « وإلى قوله عز وجل «امْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ»»[4]» فانَ كلام علماء الكلام كان بالحجاج مستندين الى هذه الآيات الكريمات في لأثبات والدفاع عن العقيدة الاسلامية بالنقل والعقل في آنٍ واحد، قال الغزالي رحمه الله: «فعمدة أَدِلَّة الْمُتَكَلِّمين فِي التَّوْحِيد قَوْله تَعَالَى «لَو كَانَ فيهمَا آلِهَة إِلَّا الله لفسدتا»»[5]».

ج. والبعث والنشور في العقيدة الاسلامية فان»الكلام في جواز البعث واستحالته الذي قد اختلف عقلاءُ العرب ومَن قبلَهم مِن غيرِهم فيه حتى تعجّبوا من جواز ذلك فقالوا: «أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ»»[6]» وقولهم: «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ»،»[7]» وقولهم:» قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ» «[8]»، وقوله: تعالى «أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ»»[9]»، وفي نحو هذا الكلام منهم إنما ورد بالحِجاج في جواز البعث بعد الموت في القرآن تأكيدًا لجواز ذلك في العقول وعلّم نبيَّه «ﷺ» ولقنّه الحجاج عليهم في إنكارِهمُ البعثَ من وجهين على طائفتين: منهم طائفة أقرّت بالخلق الأول وأنكرَت الثاني، وطائفةٌ جحدَت ذلك بقدم العالم، فاحتجّ على المقِرِّ منها بالخلق الأول بقوله: « قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»»[10]» وبقوله: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ»»[11]» وبقوله: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ»»[12]»، فنبّههم بهذه الآيات على أنّ من قدر أنْ يفعل فِعلاً على غير مثالٍ سابقٍ فهو أقدرُ أن يفعلَ فعلاً محدَثًا فهو أهون عليه فيما بينكم وتعارفِكم، وأما البارئ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه فليس خلقُ شيءٍ بأهونَ عليه من الآخر»[13]»، وقد قيل: إنّ الهاءَ في (عليه) إنّما هي كنايةٌ للخلق بقدرته، إنّ البعثَ والإعادةَ أهونُ على أحدكم وأخفُ عليه من ابتداء خلقِهِ، وإعادتُه إنما تكون دفعةً واحدة فهي أهون عليه من ابتدائه، فهذا ما احتج به على الطائفة

(١) سورة الانبياء الآية ٢٢
(٢) استحسان الخوض في علم الكلام، لابي الحسن الاشعري ص٤
(٣) سورة المؤمنون الآية ٩١
(٤) سورة الرعد الآية ١٦
(٥) قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) عالم الكتب - لبنان،ط١٤٠٥،٢هـ - ١٩٨٥م،١/ ٩٤
(٦) سورة ق الآية ٣
(٧) سورة المؤمنون الآية ٣٦
(٨) سورة يس الآية ٧٨
(٩) سورة المؤمنون الآية ٣٥
(١٠) سورة يس الآية ٧٩
(١١) سورة الروم الآية ٢٧
(١٢) سورة الاعراف الآية ٢٩
(١٣) ينظر عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة اهل السنة والجماعة، عبدالكريم تتان ومحمد اديب الكيلاني ،دار البشائر ط٢، ١٤١٩،٢/ ١٠٤٠

المقِرّةِ بالخلق»[١]. وأما الطائفة التي أنكرت الخلق الأول والثاني وقالت بقِدَم العالم فإنما دخلَت عليهم شبهةٌ بأن قالوا: وجدنا الحياةَ رطبةً حارةً والموتَ باردًا يابسًا، وهو من طبع التراب، فكيف يجوز أنْ يجمع بين الحياة والتراب والعظام النخِرة فيصير خلقـًا سويًا، والضدان لا يجتمعان، فأنكروا البعثَ من هذه الجهة ،ولعمري إنّ الضدين لا يجتمعان في محلٍ واحدٍ ولا في جهةٍ واحدة ولا في الموجود في المحل، ولكنّه يصح وجودُهما في محلين على سبيل المجاورة، فاحتج الله تعالى عليهم بأن قال: « الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ»[٢]»، فردّهم الله عزّ وجل في ذلك إلى ما يعرفونه ويشاهدونه من خروج النار على حرّها ويُبسها من الشجر الأخضر على بردها ورطوبتها، فجعل جوازَ النشأة الأولى دليلاً على جواز النشأة الآخرة؛ لأنها دليل على جواز مجاورة الحياةِ الترابَ والعظامَ النخرةَ فجعلها خلقـًا سويًا[٣] وقال:» كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ»[٤]».

د. وفي قول علماء الكلام عن الحوادث إنّها لها أول »[٥]،» للحوادث أولًا وردُّهم على الدهرية أنه لا حركة إلا وقبلَها حركة ولا يومَ إلا وقبلَه يوم، والكلامُ على من قال: ما من جزء إلا وله نصف لا إلى غاية، فقد وجدنا أصل ذلك في سنة رسول الله «ﷺ»حين قال: «لا عدوى ولا طِيَرة، فقال أعرابي: فما بالُ الإبل كأنها الظِباء تدخل في الإبل الجربى فتجرَبُ ؟ فقال النبي «ﷺ»: فمن أعدى الأول « ؟[٦] فسكت الأعرابُي لما أفحمه بالحجة المعقولة»[٧]

ه. والرد على من زعم أنّه لا حركة إلّا وقبلها حركة: «لو كان الأمرُ هكذا لم تحدث منها واحدة، لأن ما لا نهاية له لا حدَثَ له، وكذلك لما قال الرجل: يا نبي الله إنّ امرأتي ولدت غلامًا أسودَ وعرّضَ بنفيه، فقال النبي «ﷺ»: هل لك من إبل ؟ فقال: نعم ! قال: فما ألوانها ؟ قال: حُمْرٌ، فقال رسول الله «ﷺ»: هل فيها مِن أورَقَ ؟ قال: نعم إن فيها أورق، قال: فأنّى ذلك ؟ قال: لعل عرقـًا نزعه، فقال النبي ﷺ: ولعل ولدك نزعه عِرقٌ»[٨]، «فهذا ما علّم اللهُ نبيَه «ﷺ» مِن ردِّ الشيء إلى شكله ونظيره، وهو أصلٌ لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير»[٩].

و. في نفي الشبيه عنه سبحانه وتعالى «وبذلك نحتج

(١) ينظر: استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري، ص٥
(٢) سورة يس الآية ٨٠
(٣) استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري، ص٥
(٤) سورة الانبياء الآية١٠٤
(٥) ينظر عون المريد لشرح جوهرة التوحيد، عبد الكريم تتان ومحمد اديب الكيلاني، ١/ ٢٣٦
(٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل،٧/ ١٢٨رقم الحديث،٥٧١٧
(٧) استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري، ص٥
(٨) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل،٧/ ٥٣رقم الحديث،٥٣٠٥
(٩) استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري، ص٦،وص٧

على من قال: إن الله تعالى وتقدس يشبه المخلوقات وهو جسم، بأن نقول له: لو كان يشبه شيئـًا من الأشياء لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من كل جهاته، أو يشبهه من بعض جهاته، وإن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدَثـًا مثلَه من حيثُ أشبَهَهُ، لأن كل متشابهين حكمُهما واحدٌ فيما اشتبها به، ويستحيل أن يكون المحدَثُ قديمًا والقديمُ محدَثـًا، وقد قال تعالى: وتقدس» لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[1]، وقال تعالى وتقدس»[2] :»وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[3]،،فنفي الشبيه والمثيل والمكافئ المساوي للإله الواحد الأحد، منهج قرآني بينه «ﷺ»ببيان آيات القران المحكمات ورد المتشابه اليها.

ز. «وأما الأصل في أن للجسم نهاية وأنّ الجزء لا ينقسم فقوله عز وجل اسمه: «وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ « »[4]، وذلك أنّ «جميع الْكَائِنَاتِ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابٍ مَسْطُورٍ مَضْبُوطٍ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ»،» ومُحالٌ إحصاءُ ما لا نهاية له، ومحالٌ أنْ يكون الشيءُ الواحدُ ينقسم اثنان وهو «الجوهر الفرد: وهو ما لا يكون قابلا للقسمة»[5]؛ لأن هذا يوجب أن يكونا شيئين، وقد أخبر أن العدد وقع عليهما «[6].

ح. والله هو الخالق لكلِ شيء، «وأمّا الأصل في أنّ المحدِثَ للعالم يجب أنْ يتأتى له الفعلُ نحو قصدِه واختيارِه وتنتفي عنه كراهيتـُهُ، فقوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ»[7] فلم يستطيعوا أن يقولوا بحجة إنهم يخلـُقون مع تمنّيهم الولدَ» قد علموا أنهم لم يخلقوا ما يمنون، ولا خلقوا أنفسهم»[8]، «فلا يكون مع كراهيته له فنبّههم أن الخالق هو مَن يتأتـّى منه المخلوقاتُ على قصدِه»[9].

ط. برهان ان اسماء الله تعالى قديمة لان الله تعالى سمى ذاته اولا بهذه الاسماء قبل ايجاد الخلق فهي ليست من تسمية المخلوقين، ثم علمها لهم واستدلال علماء الكلام على ذلك من الكتاب والسنة في قوله تعالى « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ»[10]، وفي الحديث الشريف» أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا»[11]، «ووجه

(١) سورة الشورى الآية ١١
(٢) استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري ،وص٧
(٣) سورة الاخلاص الآية ٤
(٤) سورة يس الآية ١٢
(٥) معالم اصول الدين ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتاب العربي - لبنان،د، ت،د،ط،ص٣٣
(٦) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)،٦/ ٥٠٤
(٧) سورة الواقعة الآيتان ٥٨و٥٩
(٨) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)للإمام الماتريدي ،٩/ ٤٩٩
(٩) استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري ،ص٧
(١٠) سورة الاعراف الآية ١٨٠
(١١) مسند الإمام أحمد بن حنبل،٦/ ٢٤٧رقم الحديث

استدلالهم بالآية والحديث ان الله تعالى امرنا ان ندعوه بهذه الاسماء تعبداً، فيلزم من ذلك ان نسميه تعالى بهذه الاسماء التي هي عمله، وتسميته لذاته وليست من عمل المخلوقين»[١].

ي. وأمّا المناقضات في النظر واقامة الحجة على الخصم «فمأخوذ من سنة سيدنا محمد «ﷺ»، وذلك تعليمُ الله عز وجل إياه حين لقي الحبرَ السمينَ، فقال له: نشَدتـُك بالله هل تجد فيما أنزل الله تعالى من التوراة أن الله تعالى يبغض الحبر السمين ؟ فغضب الحبرُ حين عيّره بذلك، فقال: ما أنزل اللهُ على بشرٍ من شيء»[٢]، فقال الله تعالى: « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى »[٣]، «فناقضه عن قربٍ، لأنّ التوراة شيء، وموسى بشر، وقد كان الحبر مقرًا بأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى»[٤]،»وكذلك ناقض الذين زعموا أن الله تعالى عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، فقال تعالى «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[٥] ،» فَبَطَل عذرهم؛ إذ هم قتلوهم؛ فلا يجوز تصديقهم على العهد الذي ادعوا»[٦]، فناقضهم بذلك وحاجّهم عليه واسكتهم .

ك. وأمّا ردّ واستدراك مغالطات الخصوم فموجودة ايضا قوله تعالى:» إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ»[٧]الواردة في بحثنا فيما سبق من فقرات فاستدركهم بانْ قال: «كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهَّ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته»[٨]، ولقد ابدع الامام الاشعري في بيان وتأصيل كل هذه المسائل العقلية وردها الى اصلها النقلي ببراعة العالم الفذ الذي قيضه الله تعالى لنصرة دينه وكان بحق شيخ السنة واهلها وامام المتكلمين ناصر سنة سيد المرسلين فجزاه الله عن المسلمين خير جزاء.

وكل ما ذكرناه من الآيات او الاحاديث الشريفة، أو لم نتطرق اليها، هي أصلٌ وحجة لنا في علم الكلام وفيما ذكرنا من امثلة برهان على ذلك الاتجاه النقلي العقلي في الدفاع عن العقيدة الاسلامية وإن لم تكن كلُ مسألةٍ واردة في كتب علماء الكلام موجودة في الكتاب والسنة، لأن ما ذكرنا من المسائل العقليات التي وردت في أيام النبي «ﷺ» والصحابةِ قد تكلموا فيها على نحو ما ذكرناه مستشهدين بالآيات الكريمات والسنة النبوية المطهرة وداعمين لأصول العقيدة باجتهادات العقول في الدفاع، وإثبات المسلمات

٣٧١٢

(١) الراي السديد في شرح جوهرة التوحيد القسم الثاني، ابراهيم محمد ابراهيم حريبة، جامعة الازهر، القاهرة ،ط٢، ٢٠٠٢،ص١٣

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،للزمخشري،٢/ ٤٤

(٣) سورة الانعام جزء من الآية ٩١

(٤) استحسان الخوض في علم الكلام، للإمام ابي الحسن الاشعري ،وص٨

(٥) سورة ال عمران الآية ١٨٣

(٦) تفسير الماتريدي تأويلات اهل السنة للإمام الماتريدي،٢/ ٥٤٩

(٧) سورة الانبياء الآية ٩٨

(٨) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ٥/ ٣٣٣

العقدية الاسلامية الاساسية من اي انحراف اوتحريف فرقي حدث بعد عصر الرسالة .

## الخاتمة

أمّا بعد فإننا نستنتج من بحثنا هذا ما يأتي:

١. علم الكلام علم اسلامي اصيل اسس له القرآن العظيم والنبي الكريم«ﷺ»وقد سار عليهما علماء الامة وان لم يصرحوا بذلك اول الامر كشأن كل العلوم الاسلامية اول امرها لكنه تبلور وتميز بعد عهد النبوة والتنزيل مقتفين به اثار العهد الاول المبارك.

٢. لقد قدم لنا القران الكريم والرسول «ﷺ»ومن بعده علماء الكلام الاجلاء منهجا عقليا راقيا في الدفاع عن العقيدة الاسلامية بسيرهم على تلك الطريقة المباركة في اثبات والدفاع عن العقيدة الاسلامية بالأدلة النقلية والعقلية.

٣. وكان الاستناد مرتكزاً على النقل من الكتاب والسنة اولاً الا انه ايضا كان ينتهج منهجا عقليا قرآنيا، وهذا ما برهناه في بحثنا مستندين على ما اورده علماء الكلام الكبار كالإمام ابي الحسن الاشعري رحمه الله تعالى واستدلالاته الكلامية النقلية في تأصيل المسائل العقلية التي تناولها العلم وتبلورت فيما بعد كقواعد كلامية .

٤. وتبين لنا ان اسس وقواعد علم الكلام متواجدة في القران الكريم والسنة النبوية المشرفة من استقراء الآيات الكريمات ومدلولاتها العقلية والردود القرآنية والنبوية على الشبهات الواردة في المسائل العقدية، والتي اثارها في السابق المخالفين والمختلفين مع الاسلام والمسلمين ،واستند الرد القرآني والنبوي فيها على بناء وتنمية الجانب العقلي، بالإضافة الى كونها نقلية المصدر.

٥. وبينا انه «ﷺ» كان قائداً فذاً مبدعاً وعالماً متمكناً في علم الكلام لتعليم القران له تلك الطريقة الكلامية الاسلامية الاصيلة.

٦. ومن دراستنا لقياسه العقلي وتعليمه للمسلمين اصول التفكير العلمي وجدنا اهمية وكيفية ممارسة هذا النوع من الجهاد العلمي العقلي في الدفاع عن ثوابت العقيدة الاسلامية .

## المصادر والمراجع

ـ القران الكريم

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢. الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،ط٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٣. استحسان الخوض في علم الكلام، ناصر الدين أبو الحسن الاشعري الشافعي (ت:٣٣٠هجرية) مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر اباد ،ط٣ ت.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية،د.ط،د.ت.

٥. تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد أبو زهرة ،دار الفكر، العربي ،القاهرة ،د.ت. ،د.ط.،

٦. التعريفات الفقهية،محمد عميم الإحسان المجددي البركتي،دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، - ١٤١٩ هـ.

٨. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)،محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.

٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م .

١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط١، ١٤٢٢هـ،٦/ ١٩٨رقم الحديث ٥٠٦١

١١. جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، لسنة ١٩٨٧.

١٢. الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ،بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع ط٢ ١٤١٥ هـ.

١٣. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، بن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٢ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٤. الراي السديد في شرح جوهرة التوحيد القسم الثاني، ابراهيم محمد ابراهيم حريبة، جامعة الازهر، القاهرة ،ط٢، ٢٠٠٢،ص١٣ .

١٥. الرسالة القشيرية ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)،تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

١٦. رسالة دكتوراه بعنوان مناهج الاستدلال في مسائل العقيدة الإسلامية في مصر في العصر الحديث، د. محمد احمد قوشقي عبد الرحيم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

١٧. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب

العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٨. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)شركة الطباعة الفنية المتحدة.
١٩. شرح صحيح مسلم، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،
http//:www.islamweb.net
٢٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٢١. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢،لسنة ١٤١٣هجرية،.
٢٢. عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة اهل السنة والجماعة، عبدالكريم تتان ومحمد اديب الكيلاني ،دار البشائر ط٢، ٢،١٤١٩/ ١٠٤٠
٢٣. العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، نشر مكتبة الهلال.
٢٤. غريب الحديث أبو عبيدة القاسم بن سلام البغدادي، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، ط١ سنة ١٢٨٤هـ–١٩٦٤م.
٢٥. قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) عالم الكتب – لبنان،ط١٤٠٥،٢هـ – ١٩٨٥م،١/ ٩٤
٢٦. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٢٧. كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل – بيروت،ط١، ١٩٩٧.
٢٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣، ١٤٠٧ هـ،٢/ ٤٣
٢٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـتحف: عدنان درويش – محمد المصري،: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ .
٣١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
٣٢. المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده المرسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
٣٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل

إلى رسول الله «ﷺ»،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢/ ٧٧٩رقم الحديث١١٠٨

٣٤. المسند من أسباب النزول، مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (ت: ١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط٤ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)،: المكتبة العلمية – بيروت.

٣٦. معالم اصول الدين ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتاب العربي – لبنان، د، ت،د،ط،ص٣٣

٣٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٣٨. معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت: ٣١٧هـ)، مكتبة دار البيان – الكويت ،ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ١٩٧٩،

٤٠. الملل والنحل ،أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

٤١. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)

٤٢. مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧، ط٣.

٤٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط٣،

٤٤. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د.سامي النشار دار المعارف، القاهرة، ط٩، د،